والسوريون يختفون في كل بلاد يهاجرون اليها قبل تموت همتهم اذا اقاموا في بلادهم واطلقت لهم حرية القول والعمل هذا امر غير معقول

ولكن اقل امتياز لزيد على عمرو يضعف همة عمرو و يثبط عزيمته وهذا الامتياز هو الذي اضعف الارمن واليهود والسوريين في بلادهم وسيزيدهم ضعفاً اذا دخل الاوربيون البلاد مسلحين بالامتيازات الكثيرة وبما وراءهم من براوج دولهم ومدافعها وحينئذٍ يضطر السكان الى الخضوع او نمود المناظرة بين الشرق والغرب الى تحكيم السيف والمدفع

حاجتنا الكبرى

من مزايا الحكومات الراقية انها تختار اقدر رجالها لادارة امورها . تختار اذكاهم عقلاً واوسعهم علماً واصوبهم رأياً فتستفيد البلاد منهم ما يستفيده كل من يعتمد في قضاء امور على اعقل الناس واعلمهم واوسعهم خبرة . ومن اعظم الرجال الذين اختارتهم البلاد الانكليزية لتولي امورها وهو الآن ناظر الحقانية فيها اللغاي الكبير لورد هولدين فانها جعلته اولاً ناظراً للحربية فاصلح امور تلك النظارة اصلاحاً لم تره من قبل ثم جعلته ناظراً للحقانية وهو المنصب الذي تأهل له بالعلم والعمل سنين كثيرة . وقد قرأنا له الآن مقالة موضوعها حاجتنا الكبرى (Our greatest need) وهو يريد حاجة بلاد الانكليز . ولكن ان كان ما اشار اليه فيها وبنى عليه كلامه يعد حاجة كبرى للبلاد الانكليزية فهو لنا نحن معشر المشارقة حاجة ضرورية لا بد منها . فاقتطفنا من مقالته الفقرات التالية قال

ان الحكومة الانكليزية عازمة ان تعمم التعليم في بلادها على اسس وطنية ثابتة فاذا استطعنا ذلك نكون قد فعلنا ما نحن محتاجون اليه لانه ليس ما من شيء في هذه البلاد يقابل باصلاح التعليم لما له من المساس التام بمصالحنا العمومية والخصوصية واذا أصلح مكننا من اصلاح سائر امورنا الاجتماعية . ان وسائل المعيشة في الاولى و بعدها لا شيء امس بمصادر قوتنا من مقدار معارفنا ونوعها فعليها يتوقف فلاحنا في التجارة وبها نصير امة متكاثفة . فاننا حسب الظاهر والعرف امة متساوية في الحقوق متكاثفة في المرافق ولكن ما دام ابن الفقير لا يتساوى بابن الغني في تمهيد سبيل العلم له فلا يحق لنا ان ندعي المساواة . العلم هو الذي يمهد السبيل لهذا التساوي و يجعل الولدين الفقير والغني في مستوى واحد لا يخفض ابن الغني حتى يهبط الى مستوى ابن الفقير بل يرفع ابن الفقير حتى يعلو الى مستوى ابن الغني

فوق شعر كل ولد في هذه المملكة أكثر من ركن بنية . ان الحكومة بذلت اقصى جهدها لكي يتعلم العلوم الضرورية له لانقان ما يتعاطاه من الاعمال فحينئذٍ تأخذ الفوارق التي بين طبقات الناس في الزوال رويداً رويداً ويزول معها ما نراهُ الآن من الاختلاف بين الذين يشتغلون بعقولهم والذين يعملون بايديهم ويتقرب الناس بعضهم من بعض وتُحكم عرى الالفة والوداد بينهم . فالتعليم الوطني العمومي هو الذي نحتاج اليهِ وهو الذي تسعى الحكومة لتحقيقهِ

واننا لفي اشد الحاجة فوق ذلك الى مناهضة مذهبي التعليم بالتعليم . فان البعض من الطبقات العليا بيننا لا يزالون يعتقدون ضرر التعليم وانهُ احبولة يقع فيها الشبان لتحملهم على التحزب بالنفس والترفع عن العمل . لكن اعتقادهم هذا غير ضائر الاَّ في تثبيط الهمم . والذي يضرُّ حقيقةً هو ان ارباب الاعمال لا يعرفون قيمة العلم في انجاح اعمالهم فقد تأخرنا بسبب ذلك عن المانيا واميركا ثلاثين عاماً في صنائعنا ومتاجرنا . وما من بلاد من البلدان الصناعية الكبيرة يحتقر فيها شأن الاستعداد العلمي وفائدتهُ للصناعة كالبلاد الانكليزية . ولقد انتزع منا مناظرونا صناعات كثيرة لانهم اعتمدوا على الاساليب العلمية اكثر مما اعتمدنا

قال احد الاساقفة منذ عشر سنوات ان انكلترا تحتقر المعارف فكان لقولهِ رنة كبيرة في البلاد لانهُ من اوسع الناس خبرة واصوبهم رأياً . ولقد نهضت البلاد نهضة كبيرة في سبيل التعليم منذ عشر سنوات الى الآن ولكننا لا نزال كما وصفنا كمالى متطرفين في الاعتماد على ما كسبناهُ بمزاولة الاعمال بحسب طلب العلم تنازلاً منا . وعندنا عقبة كؤود في سبيل نشر المعارف وهي الاختلافات المذهبية حتى اذا بحثنا في التعليم في مجلس نوابنا جعلنا مدار بحثنا على ما لا شأن لهُ في التعليم فذلك مع ما في اسلوب التعليم الجاري عندنا من التعقيد جعلنا نستصعب الاهتمام بهِ واجلالهُ محلهُ من الاهمية في مصالح الامة . ولولا النهضة التي نهضتها البلاد بمساعي هكسلي وارنلد وفوستر منذ خمسين سنة لكانت حالنا اسوأ كثيراً . وهنا ذكر مقدار النجاح الذي نجحتهُ البلاد الانكليزية في اتقان التعليم ونصيبهِ من ذلك الحين الى الآن بالمقابلة بين عدد التلامذة حينئذٍ وعددهم الآن وعدد المختبرين امتحان بن على الشهادات حينئذٍ وعددهم الآن وما كانت تنفقهُ الحكومة على التعليم حينئذٍ وما تنفقهُ الآن الى ان قال

وادل دليل على التقدم الذي لقدمناهُ انشاء مدننا الكبيرة لمدارس الجامعة كلندن وبرمنجهام ومنشستر وليفربول وليدس ودرهم وشفيلد وبرستول . فان هذه الجامعات انشأتها الغيرة الوطنية لسد حاجة وطنية ولها غرضان مهمان الاول تعليم العلم لذاتهِ والثاني تطبيق العلم

على العمل او استدعاء العلم في الاعمال المتبعة في تلك المدن وبها تتعلم البلاد كلها ان العلم ضروري لها وضروري من حيث استعماله في الاعمال فلا يفلح احد صناعة ما لم تؤسس على المعارف العلمية . وان الاختصاصي المتفنن هو الذي له الملم بكل العلوم ولا تقوم العلوم العملية الا اذا بنيت على اساس علمي راسخ في المدارس الجامعة . فمهندسونا ومحامونا ومديرونا ومخترعونا لا يستطيعون ان يبتوا غيرهم او ان يجاروا غيرهم ما لم توسع في عقولهم المبادئ العلمية حتى اذا عرضت لهم المصاعب والمشاكل التي لا بد من ان تعرض لهم دواماً يعرفون كيف يحلونها بتلك المبادئ . المعارف الصناعية المكتسبة بالخبرة والمزاولة لازمة نافعة ولكن المبادئ العلمية اللازم منها والنفع ولا بدّ من هذه للنجاح في تلك . وهي لا تنال الا اذا تعلمت الامة وتربت تربية علمية . وهذا التعليم وهذه التربية تقوم بهما الجامعات التي انشأتها المدن . اليها يذهب الشاب الراغب في العلم فيجد فيها ضالته

لما كنت في نظارة الحربية دهشت لما رأيت ١٣ في المئة من الجنود امميين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة . فكيف حدث ذلك وهم قد تعلموها في المدارس الاولية . خرجوا من تلك المدارس وليس لهم سبيل لدخول مدارس اعلى منها ولا عمل يستدعي حفظ ما تعلموه فاهملوه ونسوه وصار علينا ان نعلمهم القراءة والكتابة من جديد . وهذا يدل على ان المدارس كلها يجب ان تكون حلقات متصلة من الاولية الى الجامعة . فالمدارس الاولية لا تفيد الفائدة المقصودة ما لم توصل الى المدارس الابتدائية وهذه الى المدارس الثانوية او الصناعية او الجامعة . فالمدارس الجامعة والصناعية والثانوية يأتيها التلامذة من المدارس الابتدائية من الذين تظهر فيهم الرغبة في العلم او الصناعة والمدارس الابتدائية تعلم كل تلامذة المدارس الاولية وتعدهم لما يختارونه من الاعمال والمطالب

ومقام بريطانيا بين الامم المناظرة لها في العزة والمنعة يتوقف على تعليم اولادها حتى يتمكنوا من مباراة مناظريهم

قد نعرف قوة اعدائنا ظاهرين كانوا او مختفين ونقدرها قدرها ولكن يبقى امامنا عدو آخر الدّ من كل الاعداء واخبث وهو الجهل او الجمود العقلي والاكتفاء بالذكاء الفطري والاستسلام للصدف والاكتفاء بالاساليب المألوفة حيث يعتمد مناظرونا على الاساليب العلمية وينظمون امورهم بالتعقّل والتروي واخذ الاهبة للمستقبل

الكيماري الالماني والاستاذ الالماني والمدير الالماني الذين يشتغلون في معاملهم ومدارسهم ومكاتبهم غير منظورين هم الذين يهددون مركزنا بين امم الارض اكثر من اسطول كبير

من المدرعات . وعليه ان تقابلهم في الميدان الذي هم فيه ونستعد لاستعدادهم ونحاربهم بسلاحهم بحيث انفسنا اكفاء منهم . وهذا العمل شاق ونفقاته كثيرة ولكن كل درهم ينفق فيه هو انفاق ضروري شريف لا شائبة فيه . ولا سبيل لنا لدفع الخطر الذي يتهددنا الا اذا فعلنا كما فعلت المانيا فعلت مثلما وانجحت امورها بعد ان وقفت ذليلة خائفة امام نبوليون الاول . والذي نجى المانيا رجال مثل فخت وهمبلت الذين نادوا بوجوب التعليم العام فان ذلك هو العامل الاكبر في الاعداد للمنزلة التي بلغتها بين ممالك الارض . ونطلب نحن ايضاً ان نعلم ان مستقبلنا متوقف على تعليمنا . انتهى

وفي مقالة لورد هولدين عبارة حرية بالنظر وهو انه لا بد من الحصول على وسائل المعيشة الضرورية اولاً قبل نشر التعليم العام والتوسع فيه للوصول الى مقام رفيع بين امم الارض فاذا لم تتوفر وسائل المعيشة وفق الضروري منها اي اذا لم تستطع الامة ان تجد كفافاً من الخبز لتأكل فمن العبث ان تحاول التعليم لمباراة الامم المتقدمة

فوائد من اخبار القضاة

لرغبتنا منذ عهد غير بعيد كتاباً جليلاً في اخبار قضاة مصر أنفق على طبعه من الاموال التي تطبع بها الكتب الشرقية تذكاراً للمرحوم المترجم . والكتاب لابي عمر محمد بن يوسف الكندي المتوفى سنة ٣٥٠ فما نقلهُ فيه من الاخبار واسنده الى رواة كثيرين يصح الاعتماد عليه غالباً ولاسيما اذا كان غير مناقض لامور مقررة ولو كان تاريخهُ سابقاً لعهده بمئتي سنة او ثلثمئة سنة

قال ان عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاص ان يولي القضاء كعباً بن سنة الذي حضر فتح مصر وان كعباً هذا كان حكماً في الجاهلية فتقضى بمصر شهرين . وفي ذلك اشارة الى ان الحكم غير القاضي ولو من باب الاحتمال

وقال قبل ذلك ان اول قاضٍ قضى بمصر قيس بن ابي العاص ولاه القضاء عمر بن الخطاب بكتاب الى عمرو بن العاص في اول سنة ٢٣ للهجرة ولكنهُ مات بعد نحو ثلاثة اشهر ولا يعلم من خلفهُ على القضاء . ولكن يقال بعد ذلك ان نفراً من جذام اختصموا الى عبدالله بن سعد بن ابي سرح فقال لم ارتضوا الى القاضي عثمان بن قيس وان عثمان بن قيس هذا